من بلاغة الاعتراض فى القرآن الكريم
دراسة تطبيقية على سورة البقـــرة

د. عبد الرحمن مهدى احمد

تمهيـــــــد

قبل الوقوف على ما يوفق الله تعالى للوقوف عليه من بلاغة الاعتراض فى سورة البقرة يقتضى منهج البحث أن نقدم بين يديه بتمهيد يتناول النقاط الاتيـــــة :-

الاعتراض فى اللغة ، والنحو ، وفى البلاغة ، وسبب اختيار سورة البقرة دون غيرها من سور القرآن الكريم لاجراء التطبيق عليها .

أمـا بالنسبة للاعتراض فى اللغة فهو المنع ، يقال عرض الشئ يعرض واعترض : انتصب ومنع وصار عارضا كالخشبة المنتصبة فى النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين من سلوكها . ويقال : اعترض الشئ دون الشـــئ ، أى حال دونه . ومن معانى الاعتراض أيضا الظهور ولكن من بعيد ، يقـــال أعرض لك الشئ من بعيد : بدا وظهر . وللاعتراض معان كثيرة[1] وقد اقتصرنا على ذكر أقربها لموضوع بحثنـا .

وأما بالنسبة للاعتراض فى النحو فيدخل تحت باب الجمل التى لا محـل لها من الاعراب وهى سبعة[2]. وقد عرف النحاة الجملة الاعتراضية بأنهـــا الجملـة المعترضة بين شيئين متلازمين ، أى متصلين فى المعنى . وقـــد فرعها ابن هشـام الى سبعة عشر نوعا هـى :-

١- الجملة الواقعة بين الفعل ومرفوعـه .
٢- الواقعة بين الفعل ومفعولـه .
٣- الواقعة بين المبتدأ والخبر .
٤- الواقعة بين ما أصله المبتدأ والخبر .

---

١) انظر : لسان العرب لابن منظور جـ٤ ص ٢٨٨٤ - ٢٨٨٦ نشر دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ م .

٢) انظر : مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام جـ٢ ص ٣٨٢ - ٤١٠ تحقيـــق محمد محيى الدين عبد الحميد ط / صبيح القاهرة .

(والمئخار : النخلة التى يبقى حملها الى اخر الصِّرام ، قال :

ترى الغضيض الموقر المئخارا

مِنْ وَقْعِهِ سنتثر انتثـــــارا ..

ويروى : ترى العضيد والعضيض ..."(٧٦)

هذا ماعثرنا عليه فى هذا الكتاب من نصوص تَفَرَّد بمجيئها فـــى كتابه (النخلة) . بالإضافة الى مادة علمية كشفت عن محصـــول علمى وفير عند الرجل . كما كشف الكتاب فى الوقت نفسه عـــن الحركة العلمية الزاهرة فى القرن الثالث الهجرى لِمَا لا وابوحاتم كان من العلماء الوَارِّقيين ، فالكتاب يَتَقَلَّبُ بين يديه قارئًالـه وَمُتَاجِرًا فيه.

وعليه

فالقيمة العلمية لكتاب النخلة تكشف عن جهود علماء اللغـــة فى هذا المقرن القرن للحفاظ على اللغة وارادوا تقريبهـــا للناشئة فالتمسوا وسائل ايضاح شاخصة امام عيونهم وسائـــل من واقع بيئتهم ، كالبئر ، والنخلة والكَرْم ، والرَّحْل ... الخ.

واضيف الى ماسبق قوله ان المدرسة البصرية بفكرها الثاقـب المستنير قد سبقت النظم التربوية الحديثة بما قدمته من وسائـل ايضاح لتيسير وتقريب المادة العلمية للناشئة .

---

(٧٦) اللسان مادة (اخى) .

وهو أحد مباحث البلاغة الثلاثة (١٠) .

ويرد الاعتراض فى الكلام لأغراض منها : التنزيه ، والتعظيم ، والتقرير ، والدعاء ، والتنبيه ، والتخصيص . واذا ما نظرنا إلى العلاقة التى تربط بين معانى الاعتراض فى اللغة والنحو والبلاغة رأيناها وثيقة جدا ، فقد رأينا أن معناه فى اللغة المنع من اتصال طرفى شئ ، وهذا الشئ رأينا النحاة يفرونه بمتلازمين ، فالاعتراض عندهم كما رأينا جملة أو جمل تفصل بين العامل ومعموله أو المتبوع وتابعه أو ما فى معنى ذلك ، اما البلاغة فلم تخالف اللغة ولا النحو فى أن الاعتراض وقوع جملة أو جمل بين كلام متصل فى المعنى ، ولكن الذى تركز عليه البلاغة هو سبب وقوع الاعتراض والغاية التى يرمى اليها المعترض من وراء اعتراضه ، أما الغايات فمتعددة وقد سبق أن ذكرنا أهمها ، وأما السبب الذى يُلجئ المعترض الى الاعتراض فهو الحاح معنى معين أو شعور معين على خاطره فجأة أثناء تعبيره عن معنى ما أو شعور ما مما يجعله يقطع هذا المعنى ليعبر عن الشعور العارض أو المعنى العارض ثم يستأنف تعبيره عن المعنى الأول الذى كان بصدده . هذا بالنسبة لأغراض الاعتراض وأسباب وقوعه فى كلام البشر . اما بالنسبة لوقوعه فى القرآن الكريم - كلام الله - فالأمر فيه شئ من الاختلاف دقيق ، حيث انه لا يليق بنا أن نظن فى معانى القرآن الحداثة لأن الله منزه عن الحدوث - جل جلاله - وكذلك كلامه سبحانه وتعالى ، وهذا الأمر يكشف عما يرمى اليه الاعتراض فى القرآن ، فان كان الاعتراض فى كلام البشر اكثر تعلقا بالمتكلم منه بالمتلقى فانه فى القرآن الكريم على العكس كما سنرى من خلال استعراض أغراض الاعتراض فى سورة البقرة ، فالله سبحانه وتعالى - كما أحس - يربى المتلقى وينير له مجاهل الغيب عن طريق الاعتراض .

وأما بالنسبة لسبب اختيار سورة البقرة دون غيرها - من سور القرآن الكريم لاجراء التطبيق عليها فيوضحه الآتى :

---

(١٠) تنقسم البلاغه الى معان وبيان وبديع .

٦- الواقعة بين القسم وجوابه .

٧- الواقعة بين الموصوف وصفته .

٨- الواقعة بين الموصول وصلته .

٩- الواقعة بين أجزاء الصلة .

١٠- الواقعة بين المتضايفين .

١١- الواقعة بين الجار والمجرور .

١٢- الواقعة بين الحرف الناسخ وما دخل عليه .

١٣- الواقعة بين الحرف وتوكيده .

١٤- الواقعة بين حرف التنفيس والفعل .

١٥- الواقعة بين قد والفعل .

١٦- الواقعة بين حرف النفى ومنفيه .

١٧- الواقعة بين جملتين مستقلتين (٣) .

وأما بالنسبة للاعتراض فى البلاغة فهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين فى المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لفائدة سوى دفع الايهام (٤) . فان كان لدفع الابهام سمى احتراسا (٥) .

وقد لفت الاعتراض انتباه كثير ممن اهتموا بالبلاغة (٦) ، وقد سماه بعضهم التفاتا (٧) ، والاعتراض أحد طرق الاطناب (٨) والاطناب احد مباحث علم المعانى (٩) .

---

(٣) انظر : مغنى اللبيب لابن هشام جـ ٢ ص ٣٨٧ - ٣٩٣ .

(٤) المعانى فى ضوء أساليب القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين ص ٣٦٣ ط / دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٨ م .

(٥) الاحتراس هو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه .

(٦) انظر على سبيل المثال كتاب الصناعتين للعسكرى ص ٤٤١ تحقيق د. مفيد قميحة ط / دار الكتب العلمية ببيروت ، والايضاح للقزوينى ص ١١٦ نشر صبيح القاهرة .

(٧) انظر : نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٥٣ ط/ الجوانب ١٣٠٢ هـ ، وبديع القرآن لابن ابى الاصبع المصرى ص ٤٢ تحقيق د. حفنى محمد شرف نشر دار نهضة مصر بالقاهرة .

(٨) الاطناب : هو أداء الكلام باكثر من عبارته .

(٩) علم المعانى : هو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره . ليحترز بالوقوف عليه عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما تقتضى الحال ذكره .

١- ان سورة البقرة أطول سور القرآن الكريم على الاطلاق مما جعلها أنسب من غيرها لوجود الاعتراض .

٢- انها اشتملت على معظم الاحكام التشريعية فى العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فللاعتراض - كما سنرى - دور كبير فى الكشف عن حكمة هذه الأحكام التى قد تخفى على كثير من الناس .

٣- بوصف سورة البقرة مدنية توفرت فيها الخصائص الأسلوبية للسور المدنية مثل : بسط الكلام لمعالجة النُظم والقوانين التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى لا فى المدينة المنورة وحدها ولا فى عصر دون عصر بل فى كل مكان وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والاعتراض من أنسب الوسائل الأسلوبية لمثل هذا البسط فى الكلام .

٤- أنها تناولت أمورا دقيقة كان للاعتراض دور كبير فى كيفية تناولها مثل: بيان صفة المؤمنين والكفار والمنافقين ، كما وضحت السورة حقيقة الايمان وحقيقة الكفر والنفاق .

٥- ان هذه السورة عالجت أمورا تمس دقائق المعاملات كالدَّين والربا ، كما انها كشفت فى كثير من مواضعها عن بعض الغرائز التى اذا لم تُرَشَّد بهداية الله أضلت صاحبها فى الدنيا واهلكته فى الآخرة كحب المال والرياء والأنانية وغيرها.

٦- انها تناولت باسهاب الحديث عن أهل الكتاب وبوجه خاص اليهود الذين كانوا مجاورين للمسلمين فى المدينة والذين لا تزال الأحوال بينهم وبين العرب الذين يمثلون شوكة الاسلام غير مستقرة حتى الآن، فنبهت المؤمنين الى خبثهم ومكرهم وما تنطوى عليه نفوسهم الشريرة من اللؤم والغدر والخيانة ونقض اليهود العهود والمواثيق إلى غير ما هنالك من القبائح والجرائم التى ارتكبها هؤلاء المفسدون ولا يزالون، مما يوضح عظيم خطرهم وكبير ضررهم، والاعتراض لعب دورا كبيرا فى هذا الشأن وفى هذه السورة بالذات .

من الظواهر التى تحير الانسان السوى ظاهرة النفاق، اذ أنها مرض قلبى يخفى على كل من أراد الوقوف عليه فى المنافق ، لذا كان من رحمة الله بعباده الذى خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ان شخّص هذا المرض للمؤمنين. وسورة البقرة حافلة بمواضع تشخيص هذا المرض القلبى ، من ذلك ما جاء فى صورة اعتراض: "فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون"(١١) وذلك بين: "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون"(١٢) وبين: "واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون(١٣) " .

والغرض من هذا الاعتراض تعليل سبب هذا التصرف الغريب من بعض الناس . وكأن الله يقول لعباده المؤمنين من رأيتم فيه هذه المظاهر فاعلموا انه مريض ومرضه هذا لم تقتصر مضاعفاته عليه فى الدنيا بل ستتعداها فى الآخرة حيث العذاب الاليم .

ولما كان المنافقون يمتلكون ناصية الجدل بحيث يُخشى على من يسمعهم أن يتأثر بكلامهم كان من رحمة الله بعباده أن يكشف حقيقة هؤلاء المنافقين المتوارية خلف ستر جدلهم وقد جاء ذلك فى الاعتراض الذى يتضمنه قوله تعالى: " ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون(١٤) " بين " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون(١٥) " وبين اذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء(١٦) . والغرض من الاعتراض هنا تبكيت المنافقين برد السهم الذى وجهوه الى المسلمين لصدورهم هم ،،

(١١) سورة البقرة آية ١٠
(١٢) سورة البقرة آية ٨ ، ٩
(١٣) سورة البقرة آية ١١
(١٤) سورة البقرة آية ١٢
(١٥) سورة البقرة آية ١١
(١٦) سورة البقرة جزء من آية ١٣

لان قولهم" انما نحن مصلحون" فيه قصر والقصر يتضمن الاثبات والنفى وعلى هذا فكأنهم قالوا إن غير المصلحين مَنْ دوننا ، ـ أى المؤمنين ـ وما المصلحون الا نحن ، ويتضمن الاعتراض هنا غرضا آخر وهو تثبيت المؤمنين ، لان قوله تعالى " هم المفسدون" فيه قصر ايضا وهو بذلك رد على القصر بالقصر .

وبما أن الله يدافع عن الذين آمنوا يستوقفنا الاعتراض الذى جاء فى قوله تعالى " ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون"(١٧) بين قوله:" واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء"(١٨) وبين "واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا"(١٩). والغرض من الاعتراض هنا الدفاع عن المؤمنين ـ كما ذكرنا ـ بسهم أقوى من السهم الذى وجهه المنافقون اليهم لانه أثبت لهم السفاهة فى موضعين الأول فى قوله تعالى : " هم السفهاء" والثانى فى قوله" لا يعلمون " رغم أنهم وجهوها للمؤمنين فى موضع واحد هو كما آمن السفهاء " ولا ظلم لهم فى هذا فهم البادون والبادى اظلم .

واذا ما سرنا مع سورة البقرة نرى للاعتراض الذى جاء فى قوله تعالى " ولن تفعلوا "(٢٠) بين " فان لم تفعلوا"(٢١) وبين" فاتقوا النار"(٢٢) أكثر من غرض فهو أولا من دلائل اعجاز القرآن الكريم، حيث انه أنبأ عن غيب سيقع فى المستقبل وقد كان، فالمشركون قد عجزوا بالفعل عن الاتيان بسورة من مثل القرآن الكريم . وثانيا : أن فيه لمحة من رحمة الله بخلقه حتى الكافرين منهم، لأن " ولن تفعلوا" توحى بوجوب توفير الجهد والوقت اللذين بُذلا فى محاولة الاتيان بمثل القرآن الكريم والتى قد باءت بالفشل .

ولم تخل سورة البقرة من الاشارة الى قصة خلق أبى البشر وما دار فيها من حوار بين الله والملائكة وآدم، والاعتراض الذى ورد فى هذه القصة جاء فى قوله

---

(١٧) سورة البقرة جزء من آية ١٣
(١٨) سورة البقرة جزء من آية ١٣
(١٩) سورة البقرة جزء من آية ١٤
(٢٠) سورة البقرة جزء من آية ٢٤
(٢١) سورة البقرة جزء من آية ٢٤
(٢٢) سورة البقرة جزء من آية ٢٤

تعالى على لسان الملائكة " سبحانك "[٢٣] بين " قالوا "[٢٤] وبين" لا علم لنا الا ما علمتنا "[٢٥] والغرض من هذا الاعتراض تنزيه الملائكة لله سبحانه وتعالى اقرارا بالخطأ الذى يُظهره سياق الحديث فى الآيات السابقة[٢٦]. وكأن الله يعلم البشر من خلال هذا الاعتراض كيفية التأدب مع الذات العلية.

ومن بين الموضوعات التى عالجتها سورة البقرة - كما ذكرنا - كشْفُ الله لأحوال اليهود بعرض التأنيب والاقلاع عما يرتكبون من أعمال لا تتماشى والعقل، فبالنظر فى الاعتراض الذى جاء فى قوله تعالى " وانتم تتلون الكتاب "[٢٧] بين " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم "[٢٨] وبين " افلا تعقلون "[٢٩]. يظهر للقارئ مدى لوْم علماء اليهود لأنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه، لأن هذه الآية نزلت فيهم، فقد كانوا يأمرون غيرهم بالصدقة والثبات على الاسلام ويتركون أنفسهم "[٣٠].

ولم يقف سوء أخلاق اليهود فى حدود تعاملهم مع غير اليهود بل تعداه الى تعاملهم مع بعضهم ناسين أو متناسين أن فوقهم الها قديرا على ما يظنون أنه لا يقدر عليه الا هم. وقد نسبهم الى ذلك الاعتراض فى قوله تعالى

---

(٢٣) سورة البقرة جزء من آية ٣٢
(٢٤) سورة البقرة جزء من اية ٣٢
(٢٥) سورة البقرة جزء من اية ٣٢
(٢٦) سورة البقرة جزء من اية ٣٠ ، ٣١
(٢٧) سورة البقرة جزء من اية ٤٤
(٢٨) سورة البقرة جزء من اية ٤٤
(٢٩) سورة البقرة جزء من اية ٤٤
(٣٠) انظر التفسير الواضح لـ " محمد محمود حجازى " الجزء الأول " ص ٣٤

" والله مخرج ما كنتم تكتمون "(٣١). بين " واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها"(٣٢) وبين " فقلنا اضربوه ببعضها "(٣٣)، حيث انه من سر بلاغة الاعتراض هنا توكيد قدرة الله التى نسيها اليهود بلفتهم اليها، فمهما تكتموا على غرضهم الذى من أجله قتلوا من قتلوا فسوف يخرج الله هذا السر من أعماق نفوسهم ، وسوف يفضح القاتل .

وتستمر السورة الكريمة فى اظهار ما يبطن اليهود عن طريق الاعتراض فى قوله تعالى " ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم"(٣٤)بين" واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوانؤمن بما أنزل علينا"(٣٥)وبين" قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل "(٣٦) فالاعتراض هنا فضح سريرة اليهود وهى كفرهم بما جاء بعد التوراة رغم علمهم بأنه مصدق لما عندهم فيها ، ولكنها المكابرة التى توقع صاحبها فى التناقض .

ومن أخلاق اليهود الفاسدة التى فضحتها سورة البقرة تركهم لما جاء فى التوراه وجريهم وراءما جاء به الشياطين من سحر طمعا فى المكاسب المادية الدنيوية الزائلة ظنّا منهم أنهم يستطيعون بالسحر التحكم فى أدق العلاقات الانسانية التى تكون بين المرء وزوجه ولكن الاعتراض فى قوله تعالى"وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله "(٣٧) بين " فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه "(٣٨) وبين" ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم"(٣٩) ليثبّت المؤمنين ويجعلهم لا يعتقدون فى أية قوة سوى قوة الله ، فان وقع ضرر على المسحور

---

(٣١) سورة البقرة جزء من اية ٧٢
(٣٢) سورة البقرةجزء من اية ٧٢
(٣٣) سورة البقرة جزء من اية ٧٣
(٣٤) سورة البقرة جزءمن اية ٩١
(٣٥) سورة البقرة جزء من اية ٩١
(٣٦) سورة البقرةجزء من اية ٩١
(٣٧) سورة البقرة جزء من اية ١٠٢
(٣٨) سورة البقرة جزء من اية ١٠٢
(٣٩) سورة البقرةجزء من اية ١٠٢

فلا يجعله يؤمن بأن من عباد الله من يخرج على قدرته ويتصرف فى عباده وفق رغبته هو لا وفق قدر الله ، وما الساحر الا سبب لتنفيذ قدر الله فللمحور ثواب الصبر وللساحر وزر السحر .

ولما كان اليهود والنصارى يدعون ما ليس مكتوبا فى التوراة والانجيل بقصد ارهاب المؤمنين أبطل الله عملهم هذا بكشف حقيقة ادعائهم للرسول والمؤمنين عن طريق الاعتراض بقوله تعالى " تلك أمانيهم"(٤٠)بين " وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى "(٤١) وبين " قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين "(٤٢) فأثبت لهم عدم حقيقة كلامهم مما يترتب عليه تثبيت المؤمنين حتى لا ينخدعوا بكلامهم هذا بوصفهم أهل كتاب .

وتكشف سورة البقرة عما كان يدور بين أهل الكتاب من يهود ونصارى، اذ كانوا يُخطِّئون بعضهم ويرمى كل منهم الآخر بأنه ليس على شئ من الصواب فالاعتراض فى قوله تعالى" وهم يتلون الكتاب "(٤٣)بين" وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ.(٤٤)وبين" كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم "(٤٥) يوضح مدى سفاهة الفريقين ، اذ رغم تلاوتهم الكتاب يصدر منهم ما يكشف عن جهلهم بما فيه وكأنهم لا يعلمون شيئا فهذا الاعتراض يؤكد ما أثبته الاعتراض السابق من كذب اليهود والنصارى وافترائهم غير الحق . والله يعلم أن هذا الكشف سيهدم الرهبة التى كانت فى قلوب المسلمين من اليهود والنصارى فيقدمون على التعامل معهم بثبات وقوة عزيمة .

ومن جرائم اليهود والنصارى التى تصدت لها سورة البقرة ادعاؤهم أن لله ولدا .والله سبحانه وتعالى يعلمنا- كما سبق أن ذكرنا - كيفية تنزيهه

---

(٤٠) سورة البقرة جزءمن اية ١١١
(٤١) سورة البقرةجزء من اية ١١١
(٤٢) سورة البقرة جزء من اية ١١١
(٤٣) سورة البقرة جزءمن اية ١١٣
(٤٤) سورة البقرة جزء من اية ١١٣
(٤٥) سورة البقرة جزء من اية ١١٣

وتعظيمه وتسبيحه بحيث لا نفكر مجرد التفكير فى هذا الشرك الذى ادعاه بعض من أوتوا الكتاب ويؤكد على هذه الحقيقة قوله تعالى فى صورة اعتراض " سبحانه "(٤٦) بين" وقالوا اتخذ الله ولدا"(٤٧)وبين " بل له ما فى السموات والارض "(٤٨) ، فالغرض من الاعتراض هنا تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الولد بل وعن كل شريك فهو سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ومن الأمور التى اتخذ الاعتراض توكيدا لها يقضيه الايمان بالله ، حيث إن أهل الكتاب كان كل منهم يدعى أن طريقته فى عبادة الله أحسن وأن طقوسهم خير دليل على ذلك فجاء الاعتراض بقوله تعالى " ومن أحسن من الله صبغة " (٤٩)بين " صبغة الله "(٥٠) وبين " ونحن له عابدون "(٥١)لينفى كل طريقة يتوسل بها أهل الكتاب غير الايمان بالقلب وهى طريقة المسلمين الوحيدة ، لأن فى هذه الطريقة تطابقا بين الايمان بالله والاخلاص له وبين العمل بما يرضيه سبحانه وتعالى فعلى سبيل المشاكلة تكون صبغة الايمان احسن من أية صبغه يتوسل بها اليهود والنصارى لعبادة الله .

ولما كان أهل الكتاب دائما يحاجون المسلمين فى الله علّم الله المسلمين كيفية محاجتهم ويظهر ذلك من خلال الاعتراض بقوله تعالى" وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون"(٥٢)بين " قل أتحاجوننا فى الله " (٥٣)وبين" أم تقولون ... "(٥٤).فالغرض من الاعتراض هنا اخبار اهل الكتاب بأن الناس عند الله سواء لانه ربهم جميعا ، وكل

---

(٤٦) سورة البقرة جزء من اية ١١٦
(٤٧) سورة البقرة جزء من اية ١١٦
(٤٨) سورة البقرة جزء من اية ١١٦
(٤٩) سورة البقرة جزء من اية ١٣٨
(٥٠) سورة البقرة جزء من اية ١٣٨
(٥١) سورة البقرة جزء من اية ١٣٨
(٥٢) سورة البقرة جزء من اية ١٣٩
(٥٣) سورة البقرة جزء من اية ١٣٩
(٥٤) سورة البقرة الاية ١٤٠

يحاسب بعمله ويمتاز المسلمون عن غيرهم من أهل الكتاب بانفرادهم باخلاص عبادتهم لله لانهم لا يبغون من وراء عبادتهم غير وجهه سبحانه وتعالى وليسوا كغيرهم ممن يبتغون من وراء عبادتهم المال والشهرة.

ومن لطف الله بالمسلمين أنه كثيرا ما يكشف لهم عن حكمة الشرائع التى يأمرهم باتباعها كى تطمئن قلوبهم ويقبلون على تنفيذ الشرائع بكليتهم وكثيرا ما يكون الاعتراض أنسب وسيلة لتأدية هذا الغرض من ذلك الاعتراض فى قوله تعالى " هن لباس لكم وانتم لباس لهن "(٥٥)بين" أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم "(٥٦)وبين"علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم "(٥٧) فالاعتراض يكشف عن سرّ تحليل ما كان محرّما من عدم المباشرة فى بداية تشريع الصوم .

وقد تعرّض المسلمون لمواقف كان الاعتماد فيها على رأيهم وحده مجانبا للصواب مثل احجامهم عن قتال المشركين لأنهم لم يؤمروا بالقتال فجاء القرآن مصرّحا بأن ترك قتال المشركين فتنة وأن الفتنة ضررها أكبر من ضرر القتل وأشد تأثيرا، ونظرا لبعد هذه الفكرة عن خاطر المسلمين فقد أوردها الله فى صورة اعتراض فى قوله تعالى" والفتنة أشد من القتل"(٥٨)بين"وأخرجوهم من حيث أخرجوكم "(٥٩)وبين" ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه"(٦٠) فالاعتراض هنا كشف عن مدى فداحة ما لم يظنه المسلمون فادحا وهو ما يترتب على عدم قتالهم الكفار إذا قاتلوهم، فتركهم هكذا يؤدى إلى الفتنة التى أخبر الله عنها بأنها أشد ضررا من القتل الذى يظنه المسلمون شيئا كبيرا.

ومن الأمور التى يُعلّمها الله عباده المسلمين كيفية سؤالهم اياه ومن ذلك ماجاء فى صورة اعتراض فى قوله تعالى:"وماله فى الاخرة من خلاق"(٦١)بين"فمن الناس

---

(٥٥) سورة البقرة جزء من اية ١٨٧
(٥٦) سورة البقرة جزء من اية ١٨٧
(٥٧) سورة البقرة جزء من اية ١٨٧
(٥٨) سورة البقرة جزء من اية ١٩١
(٥٩) سورة البقرة جزء من اية ١٩١
(٦٠) سورة البقرة جزء من اية ١٩١
(٦١) سورة البقرة جزء من اية ٢٠٠

من يقول ربنا آتنا فى الدنيا" (٦٢) وبين" ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار" (٦٣) فبلاغة الاعتراض هنا تكشف عن موقف محبى الدنيا يوم القيامة، حيث انها أغرتهم فلم يطلبوا من الله أن يوفقهم للعمل لما ينفعهم يوم القيامة واقتصر طلبهم على أمور دنيوية فقط، كما يوضح الاعتراض وجوب تذكر الآخرة فى الدنيا والعمل لها.

ونظر الخطر المنافقين على أى مجتمع يوجدون فيه فقد لفت الله سبحانه وتعالى أنظار المسلمين الى حيل هذا الصنف من الناس من ذلك ما جاء فى صورة اعتراض فى قوله تعالى "ويُشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام" (٦٤) بين " ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا" (٦٥) وبين "واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل" (٦٦) فبلاغة الاعتراض فى هاتين الآيتين تكمن فى اماطة اللثام عن طوية المنافقين الذين يتوسلون بالحلف بالله الى تحقيق مصالحهم الدنيوية التى لا تعود على أحد بالنفع وقولهم ويشهد الله على ما فى قلوبنا من الخير مستغلين اجلال المؤمنين لله تعالى ويَلفت الله أنظار المسلمين عن طريق الاعتراض الى الذين يجيدون الكلام ولا يخلصون فى العمل وهذا الامر دقيق جدا، حيث انه لا يتبادر الى ذهن أحد ان من الناس من وصل فجورهم الى اشهاد الله كذبا على ما فى قلوبهم.

ولما كانت قدرة الانسان لا تتعدى الظاهر وكان الله سبحانه وتعالى أعلم بذلك كان لطيفا بعباده فى اظهار ما يخفى عليهم من مزايا الاسلام ويظهر ذلك من خلال الاعتراض فى قوله تعالى " ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم" (٦٧) بين "ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن " (٦٨) وبين "ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا" (٦٩) حيث إن الاعتراض بيّن حكمة التحريم التى قد تخفى على المؤمنين ووضّح قيمة الاسلام وكشف عن درجة الشرك من الانحطاط مهما كانت المشركة ذات مال أو جمال فالشرك وحده كفيل بألا يجعلها كفوًا للمؤمن.

(٦٢) سورة البقرة جزء من آية ٢٠٠
(٦٣) سورة البقرة الاية ٢٠١
(٦٤) سورة البقرة جزء من اية ٢٠٤
(٦٥) سورة البقرة جزء من اية ٢٠٤
(٦٦) سورة البقرة جزء من اية ٢٠٥
(٦٧) سورة البقرة جزء من اية ٢٢١
(٦٨) سورة البقرة جزء من اية ٢٢١
(٦٩) سورة البقرة جزء من اية ٢٢١

وأكد الله ذلك المعنى فى الاعتراض بقوله تعالى "ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم" (٧٠) بين "ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا" (٧١) وبين "أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه" (٧٢)، فكما أن الايمان بالنسبة للمرأة هو الذى يعلى من شأنها والشرك هو الذى يبخس من قيمتها فكذلك الحال بالنسبة للرجال فان كنتم أيها المسلمون تنظرون الى المظهر فالله ينظر الى الجوهر وهو الايمان الذى لا يظهر يغنى أو بجمال.

وبما أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم دستورا لاصلاح مافسد من عادات الناس نرى الاعتراض بقوله تعالى "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (٧٣) بين " فأتوهن من حيث أمركم الله" (٧٤) وبين "نساؤكم حرث لكم" (٧٥) وذلك لأن اليهود كانوا يتشددون فى معاملة الحائض فيعتزلونها فى الأكل والشرب وكانت النصارى لا تفرق بين الحائض وغيرها فكان هذا داعيا لتساؤل المسلمين عن الرأى الوسط والحل الرشيد فأجيبوا من الله بأن الحيض أذى يضر الرجل والمرأة، وأكد الاعتراض ان من يمتثل لأمر الله فى هذا الموضوع يحبه الله، لأنه يكون قد تاب عما كان يقع فيه وتطهّر مما كان يدنس نفسه به، وعلى هذا يكون الاعتراض فيه حض على التوبة والتطهر لنيل محبة الله سبحانه وتعالى.

ومن بلاغة الاعتراض فى سورة البقرة التى تمثل القرآن الكريم أنه يكون جوابا عن سؤال يدور فى خاطر المكلفين حتى يكون تنفيذهم للتكليف خالصا من شائبة حيرة أو استفهام، ومن الاعتراض الذى عالج نقطة فى هذا الباب قوله تعالى "على الموسع قدره وعلى المقتر قدره" (٧٦) اعتراضا بين " ومتعوهن (٧٧)

---

(٧٠) سورة البقرة جزء من اية ٢٢١
(٧١) سورة البقرة جزء من اية ٢٢١
(٧٢) سورة البقرة جزء من اية ٢٢١
(٧٣) سورة البقرة جزء من اية ٢٢٢
(٧٤) سورة البقرة جزء من اية ٢٢٢
(٧٥) سورة البقرة جزء من اية ٢٢٣
(٧٦) سورة البقرة جزء من اية ٢٣٦
(٧٧) سورة البقرة جزء من اية ٢٣٦

وبين" متاعا بالمعروف "(٧٨) حيث إن الاعتراض وضّح مقدار المتعة فى حالة الطلاق قبل المساس أو تسمية المهر .

ولما كان الزواج من أقوى الروابط بين الناس كان من الطبيعى أن يكون الطلاق من أقوى العوامل التى تمزق الروابط بين الناس ، لذا نلاحظ ان الله سبحانه وتعالى عالج عن طريق الاعتراض هذه النقطة الدقيقة حيث بيّن للمسلمين ان على من طلّق قبل الدخول ولكن بعد تسمية المهر نصف المهر . هذا هو العدل ، ولكن الله خالق الانسان يعلم ان العدل وحده فى هذه النقطة لن يعيد الروابط التى وهنت بالطلاق بعد تقويتها بالزواج إلى ما كانت عليه قبل الزواج فجاء معترضا بقوله تعالى " وان تعفوا أقرب للتقوى "(٧٩) بين " فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح "(٨٠) وبين " ولا تنسوا الفضل بينكم "(٨١) لأن الله خيرهم بين التنازل عن نصف المهر أو المهر كله ، وكانهم قالوا فى أنفسهم وأى الامرين أحسن فجاء الاعتراض ردا على ما يستشرفون إليه وهو العفو .

وبما أن اليهود كانوا أقرب الامم للعرب وأكثر من غيرهم احتكاكا بهم ، وكانوا يدّعون ماليس فيهم من الشجاعة ارهابا للعرب تكفل القرآن الكريم وسورة البقرة بصفة خاصة بكشف ما حاولوا أن يستروه عن العرب من صفات خسيسة من بينها الجبن ، وقد تكفل بذلك الاعتراض فى قوله تعالى : " وهم ألوف "(٨٢)

---

(٧٨) سورة البقرة جزء من اية ٢٣٦
(٧٩) سورة البقرة جزء من اية ٢٣٧
(٨٠) سورة البقرة جزء من اية ٢٣٧
(٨١) سورة البقرة جزء من اية ٢٣٧
(٨٢) سورة البقرة جزء من اية ٢٤٣

بين "ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم" (٨٣) وبين "حذر الموت" (٨٤)، فالقلة تشفع لهم إذا وقع منهم الخروج بسبب الخوف أما الكثرة التى عبّر الله عنها بالوف فتكشف عن الجبن الذى لا تغنى معه كثرة.

وفى سورة البقرة يُعلّمنا الله سبحانه وتعالى - ألا نتخذمن نعمه علينا وسيلة للكفر به ويظهر ذلك من الاعتراض بقوله" أن آتاه الله الملك "(٨٥) بين " ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه "(٨٦) وبين" إذ قال ابراهيم....(٨٧) فهذا الذى آتاه الله الملك كان حريا به أن يسارع إلى الايمان، لأن معه دلائل قدرة الله الايجابية فكون الله آتاه الملك يجعله أولى الناس بالشكر. والايمان بالله درجة أقل من الشكر.

ومن الأمور الدقيقة التى عالجها الله سبحانه وتعالى- عن طريق الاعتراض فى سورة البقرة - أمر يتعلق ببعض الناس وهو حبهم ثناء الناس ونسيانهم رضوان الله عن طريق أمر ظاهره استجابة أمر الله وباطنه استجابة رغباتهم أو شهواتهم الفانيه، لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويحب أن يكون العمل خالصا له ، وقد عالج الله هذه النقطة بقوله" لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين "(٨٨) بين" يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا" (٨٩) وبين" ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم" (٩٠) فالمنفق ماله رئاء الناس كافر وعلى هذا فلن يهديه الله إلى ما ينفعه فى آخرته، لأن سعيه منصب على ما يعود عليه فى دنياه فقط.

---

(٨٣) سورة البقرة جزء من اية ٢٤٣
(٨٤) سورة البقرة جزء من اية ٢٤٣
(٨٥) سورة البقرة جزء من اية ٢٥٨
(٨٦) سورة البقرة جزء من اية ٢٥٨
(٨٧) سورة البقرة جزء من اية ٢٥٨
(٨٨) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٤
(٨٩) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٤
(٩٠) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٥

ومن بين وسائل تعليم الله لعباده المؤمنين أن جعلهم يتصورون أنفسهم مقام الذى يعاملونه فان رضوا بالمعاملة فهى حلال ولا اثم عليهم وان آذتهم المعاملة فهى حرام ولا يجب عليهم اتباعها، وقد جاء ذلك فى صورة اعتراض بقوله تعالى" ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه "(٩١) بين" يا ايها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون(٩٢) وبين" واعلموا ان الله غنى حميد"(٩٣) ومعنى هذا ان على المؤمن اذا أخرج شيئا لله فينبغى أن يكون من أطيب ما عنده، لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا، فلو كان المُعطى مكان الاخذ لما رضى لنفسه أن يكون العطاء من أردأ أنواع الثمار أو أى شئ يعطى ، لأنه إن كان المُعطَى خبيثا فوّت على الفقير شكر الله أولا ، وحب المُعطِى ثانيا.

ومن أهم خصائص سورة البقرة أنها- كما سبق ان ذكرنا فى المقدمة - أطول سور القرآن الكريم وانها تحتوى على أطول آية فى القرآن الكريم وهى آية الدَّيْن(٩٤) وكان طبيعيا أن تشتمل هذه الآية على أكثر من اعتراض ، لأن الاعتراض من بين خصائصه أنه يُجلّى الأمور الدقيقة التى يكتنفها شئ من عدم الوضوح . وآية الدَّيْن هذه تتناول أدق رابطة تربط بين أفراد المجتمع الواحد بل بين الدول وبعضها على مستوى العالم فكان لابد من أن يجلى الله فيها كل غامض حتى لا تكون معاملات الناس مضطربة فى أمر يتعلق بأرزاقهم التى يظن أكثرهم أنهم ما خلقوا إلا لها.

وأول اعتراض يقابلنا فى آية الدَّيْن يتعلق بالكتابة ، فمعرفة الكتابة نعمة من نعم الله لأن الله هو الذى علّم بالقلم وعلى هذا فلا ينبغى على من يعرف الكتابة أن يضن بهذه المعرفة على من يريد الاستعانة بالكتابة لأمر مهم كتسجيل دَيْن أو غيره . وقد أكد الله على الكاتب ألا يمتنع عن الكتابة وجاء ذلك فى صورة اعتراض بقوله تعالى": ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب "(٩٥)

---

(٩١) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٧
(٩٢) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٧
(٩٣) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٧
(٩٤) اعنى اية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة، حيث انها تشتمل على ١٢٨ كلمة
(٩٥) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢

بين يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل" (٩٦)
وبين" وليملل الذى عليه الحق ....." (٩٧).

وثانى اعتراض فى آية الدين يتعلق بالشهود، فنظراً لدقة الأمر ينبغى ألا يكتفى فيه بشاهد واحد درءا لشبهة تواطؤ الشاهد مع المدين أو الدائن فإن لم يتوفر فى الحال شاهدان رجلان فرجل وامرأتان ، والاعتراض جاء ردا على سؤال يفترض أنه دار فى خلد المكلفين وهو ولماذا امرأتان لا امرأة واحدة ؟ وذلك ، حيث اعترض الله بقوله تعالى" أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى "(٩٨).
بين" واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء "(٩٩) وبين " ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا"(١٠٠) .

وأما الاعتراض الثالث فى آية الدَّين فقد فسر حكمة كتابة الدين حتى يكون المكلف مقتنعا بما كلف به أو كما قال سيدنا ابراهيم "ليطمئن قلبى " (١٠١) فربما كان الحياء يحول بين الدائن والمدين من كتابة الدين فيأتى الاعتراض ليجعل الأمر يتعلق بالدَّين لا بالدَّين ، وذلك حيث اعترض الله سبحانه وتعالى بقوله " ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا"(١٠٢) بين " ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى اجله "(١٠٣) وبين " الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها"(١٠٤).

والاعتراض الرابع فى آية الدين يتعلق بتأمين كاتب الدين والشاهد عليه ، لأن هذين الشخصين يدخلان فى مجال تحفه المخاطر فالمال قد يكون من أقوى الأسباب لقطع أوثق العلاقات وارتكاب أكبر الجرائم، لذا جاء الاعتراض ليبين جريمة من يضر كاتب الدين أو الشاهد عليه وذلك حيث اعترض الله سبحانه وتعالى : " وان تفعلوا فانه فسوق بكم "(١٠٥) .

---

(٩٦) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(٩٧) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(٩٨) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(٩٩) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠٠) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠١) سورة البقرة جزء من اية ٢٦٠
(١٠٢) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠٣) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠٤) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠٥) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢

بين" ولا يضار كاتب ولا شهيد"(١٠٦) وبين" واتقوا الله ويعلمكم الله"(١٠٧)

وعقب الانتهاء من آية الدّين باعتراضاتها الأربعة يلقانا اعتراض يتعلق بالشهادة أيضا ، وذلك حيث اعترض الله بقوله تعالى" ومن يكتمها فانه آثم قبله"(١٠٨) بين " ولا تكتموا الشهادة "(١٠٩) وبين " والله بما تعملون عليم(١١٠) والملاحظ أن الشاهد هذه المرة هو المدين نفسه لقول الله فى هذا الموضوع" فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربّه"(١١١) لأن الله هو الشاهد الوحيد عليه .

وبعد الانتهاء من محاولة تلمس الأوجه البلاغية للاعتراضات الواردة فى سورة البقرة يمكن تأكيد ما سبق ذكره من أن الأغراض البلاغية من الاعتراض فى القرآن الكريم تختلف عنها فى غيره ، حيث ان أغراض الاعتراض فى كلام البشر غالبا ما تعود الى الملقى لا المتلقى بينما تعود أغراضه فى القرآن إلى المتلقى لأن الملقى هو الله ، وكما سبق أن ذكرنا أن الله يعلم سلفا الأفكار التى يعبر عنها بقرآنه ، وليس كالبشر الذين تعترضهم أفكار أثناء تعبيرهم عن أفكار اخرى .

وهذه النقطة أظنها من الجديد فى هذا البحث لأننى لم أقع عليها عند أحد قبلى ، فكل مفسر للاعتراض فى القرآن الكريم يكتفى بذكر الغرض منه بطريقه نمطية كالتى تستخدم فى تفسير أغراض الإعتراض فى كلام البشر مع أن الفارق واضح كما ذكرت .

وعلى الله قصد السبيل ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

---

(١٠٦) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠٧) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٢
(١٠٨) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٣
(١٠٩) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٣
(١١٠) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٣
(١١١) سورة البقرة جزء من اية ٢٨٣